المحاضرة رقم 05

مضامين شعر الشيعة

1. مصطلح الشيعة:

1.1. لغة: تطلق كلمة شيعة في لسان العرب على الأتباع "والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيَعٌ، وأشياع جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي: عندهم، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة.

وفي هذا المعنى قوله تعالى:[**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)** (لأنعام 159). شيعا أي فرقا، والشيعة بمعنى الفرقة من الناس على حدة.

فالشيعة ، والتشيع ، والمشايعة في اللغة تدور حول معنى المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر، ثم غلب هذا الاسم - كما يقوله صاحب اللسان، والقاموس، وتاج العروس - على كل من يتولى علياً وأهل بيته. وهذه الغلبة.. محل نظر؛ لأنه إذا تأمل الباحث في المعنى اللغوي للشيعة والذي يدل على المتابعة، والمناصرة، ثم نظر إلى أكثر فرق الشيعة التي غلب إطلاق هذا الاسم عليها يجد أنه لا يصح تسميتها بالشيعة من الناحية اللغوية؛ لأنها غير متابعة لأهل البيت على الحقيقة بل هي مخالفة لهم ومجافية لطريقتهم....

2.2. اصطلاحا:

أولا: أن الشيعة هم "فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام، المسمون شيعة علي في زمان النّبي صلى الله عليه وسلم، وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته". وهذا قول أئمة الشيعة وهما: سعد القمي والحسن النوبختي.

ثانيا: الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه وقدموه على سائر الصحابة رضي الله عنهم وهو قول الأشعري.

ثالثا: الشيعة: هم القائلون بأفضلية علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأحقيته بالإمامة وولده بعده، وبه قال ابن حزم ونصره جماعة من الشيعة والسنيين .

وعليه يكون حزب الشيعة كما يقول عنه قصي حسين: " أخطر الحركات التي ظهرت في العصر الأموي وكانت النواة الأولى لظهور فكرة التشيع لعلي قد وجدت منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حين رأت طائفة من الصحابة أن عليا أولى الصحابة بتولي الخلافة وكان من هؤلاء سلمان الفارسي وأو ذر الغفاري والمقداد بن أسد الكندي".

2. تعريف شعر الشيعة:

يطلق اسم الشعر الشيعي على ذلك الشعر، الذي قيل في علي وآل بيت رسول الله - صلى الله عليه وآله - مدحاً ودفاعاً ورثاءً. ومنذ القرن الإسلامي الأول برز شعراء كرسوا جل اهتمامهم في هذا المجال، فسموا شعراء الشيعة.

3. موضوعات شعر الشيعة

ارتبط الشعر العربي في كل مراحله بالمذاهب والتوجهات السياسية والدينية، نظرا للعلاقة التي تربط العربي بالشعر، وهي علاقة شائكة ومتعددة الجوانب، تقوم على التفاعل بين ما يعتري حياة العربي من أحداث على محلف الأصعدة والشعر الذي هو محور وأداة التفكير لدى العربي. وكان الشعر في هذه الفترة على علاقة وثيقة بما يحدث على الصعيد السياسي في الدولة الإسلامية يؤثر فيها ويتأثر بها، لذلك نجد أن الشعر الشيعي "يتصل اتصالا مباشرا بنشاط الشيعة السياسي فكل منهما يصدر عن عقيدة سياسية، تنادي بأن الخلافة وإمامة المسلمين حق لآل البيت وحدهم".

والشعر الشيعي وما ينطوي عليه من وقائع ومواقف، ومشاهد وآراء، شكّلت فصلاً كبيراً من تاريخ الأدب العربي والإسلامي. كما اشتهر شعراء كبار بولائهم لآل البيت والدفاع عنهم منذ مقتل علي بن أبي طالب منهم أبي الأسود الدؤلي والكميت بن يزيد الأسدي وكثير عزّة والطرماح ودعبل الخزاعي وغيرهم.

وقد نال الشعر الشيعي اهتماما كبيرا من الأدباء والنقاد والمؤرخين، حيث تم جمعه ودراسته، وفيما يأتي بعض المضامين الشائعة في شعر الشيعة:

1.3. الولاء لآل البيت ونصرتهم

يتمتع آل البيت بمحبة وإجلال المسلمين، لكن ولاء الشيعة ومحبتهم له تختلف عن غيرهم، وهذا ما عبر الشعراء عنه في قصائدهم، يقول أبو الأسود الدؤلي:

أَحِـــبُّ مُحَمَّـــداً حُبّـــاً شَـــديداً ... وَعَبّاســـاً وَحَمـــزَةَ وَالوصِـــيّا
وَجَعفَـــرَ إِنَّ جَعفَـــرَ خَيـــرَ سِـــبطٍ ... شَـــهيداً فـــي الجِنـــانِ مُهاجِرِيّـــا
وَمـــا أَنســـى الَّـــذي لاقـــي حُسَـــينٌ ... وَلا حَسَـــنٌ بِـــأَهوَنِهِم عَلَيَّـــا
بَنـــو عَـــمِّ النَبِـــيِّ وَأَقرَبـــوهُ ... أَحَـــبُّ النـــاسِ كُلِّهِـــمُ إِلَيَّـــا

وتفنن الشعراء في مدح آل البيت، يقول حُجْر بن عَدِيّ:

أمـــاطَ اللهُ عـــنهم كـــلَّ رِجْـــسٍ ... وطهّـــرَهم بـــذلك فـــي المثـــاني
فمـــا لهـــمُ سِـــواهُم مِـــن نظيـــرٍ ... ولاكُفـــؤٌ هنـــاك ولا مُـــوالي

فآل البيت حسب أتباعهم من الشيعة منزهون عن الأخطاء والفواحش والخيرة المختارة عند الله عزّ وجلّ.

يقول دعبل الخزاعي:

نطـــق القـــرآن بفضـــل آل محمّـــد ... وولايـــة لعلـــي هـــم لـــم تجحـــد
بولايـــة المختـــار مـــن خيـــر الـــورى ... عـــد النبـــي الصـــادق المتـــودّد
إذ جـــاءه المســـكين حـــال صـــلاته ... فامتـــد طوعـــاً بالـــذراع وباليـــد
فتنـــاول المســـكين منـــه خاتمـــاً ... هبـــة الكـــريم الأجـــود بـــن الأجـــود

جلي أن المديح عند دعبل الخزاعي هنا ليس بغرض التكسب كما عهدناه عند الشعراء، لكنه بدافع عقائدي ومذهبي، وقد خص علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه النصيب الأكبر من مدائحه لآل البيت، وفي هذه الأبيات يروي حادثة تصدق علي رضي الله عنه بخاتمه وهو راكع في صلاته لمسكين.

وهذا الشاعر الطِّرِمّاح، يقصد كربلاء على ظهر ناقته، حاثا إيّاها على الجد في المسير، وتحمّل عناء السفر، لأنّ الأمر جلل، وهو لزوم اللحاق بالركب الحسيني المحارب، ونيل الشهادة بين يدي إمامه أبي عبد الله الحسين رضي الله عنه، ويقول:

يـــا نـــاقتي لا تجزعـــي مِـــن زَجْـــرِ ... وامضـــي بنـــا قبـــلَ طلـــوعِ الفجـــرِ
بخيـــر فتيـــانٍ وخَيـــرِ سَفْـــرِ ... آلِ رســـــــول الله آل الفَخْـــــــرِ

ويعد الكميت بن يزيد من أشد المدافعين عن آل البيت في العهد الأموي، ونظم شعرا كثيرا في ذلك وقد عرفت قصائده بالهاشميات، وهي نموذج من الشعر السياسي النابع من حب خالص لآل البيت، "وقد شهدت الكوفة في أثناء ثورة زيد بن علي شاعرا كبيرا من شعراء الشيعة جعل شعره لسانا للزيدية يعبر به عن مبادئها وعقائدها، وهو يحتج لها ويدافع عنها وهو الكميت". ومن أشهر قصائده في مدح آل البيت بائيته، يقول:

وَمَـن غَيـرَهُم أرضَـى لِنَفسِـيَ شِـيعَةً ... ومـن بَعـدَهُم لاَ مَـن أَجِـلُّ وأَرجَـبُ
يَـرَونَ لَهُـم فَضـلاً عَلَـى النَّـاسِ وَاجِبـا ... سَـفَاهاً وَحَـقُّ الهَاشِـمِيينَ أوجَـبُ
وَلَكِـن مَوَارِيـثُ ابـنِ آمِنَـةَ الـذِي ... بِـهِ دَانَ شَـرقِيّ لَكُـم وَمُغَـرِّبُ
فِـدَىً لَـكَ مَورُوثـاً أَبِـي وأَبُـو أبِـي ... وَنَفسِـي وَنَفسِـي بَعـدُ بِالنَّـاسِ أطيَـبُ

2.3. هجاء خصوم الشيعة

برز الهجاء السياسي ذي المكنونات المذهبية لدى شعراء الشيعة، فهو أداة من أدوات التشيع، وقد برز شعر دعبل الخزاعي في هذا الغرض، فقد كان لسانه لاذعا لا يهاب أحدا، يقول في هجاء المعتصم:

مُلـوكُ بَنـي العَبَّـاس فـي الكُتْـبِ سَـبعَةٌ ... ولَـم تأتِنـا عَـن ثـامِنٍ لَهُـمُ كُتـبُ
كَـذَلكَ أهـلُ الكَهـفِ فـي الكَهـفِ سَـبعةٌ ... خِيـارٌ إذا عُـدُّوا وثـامِنُهُم كَلـبُ
وإنِّـي لَأُعلـي كَلـبَهُم عَنـكَ رِفعـةً ... لأنَّـكَ ذو ذَنـبٍ، ولَـيسَ لـهُ ذَنـبُ

وكان يهجو الأحياء والأموات على حد السواء من الخلفاء العباسيين، يقول حين بلغه نبأ وفاة المعتصم وتولي الواثق:

الحمـدُ للهِ لا صـبْرٌ ولا جَلَـدُ ... ولا عَـزَاءٌ إذا أهْـلُ الـبلاَ رَقَـدُوا
خليفـةٌ مـاتَ ولـم يحْـزَنْ لَـهُ أحَـدٌ ... وآخـرٌ قَـام ولـم يَفـرحْ بـهِ أَحَـدُ
فمـرَّ هـذا ومـرّ الشـؤمُ يتْبَعُـهُ ... وقَـام هـذا، فقَـام الشُـؤْمُ والنَّكَـدُ

وعرف على هجاء السيد الحميري التطاول على والسيدة عائشة رضي الله عنها والصحابة رضوان الله عليهم، وقد قال:

جـاءت مـع الأشـقَين فـي هَـودج ... تُزجـي إلـى البصـرة أجنادَهـا
كأنّهـا فـي فِعلهـا هِـرَّةٌ ... تريـدُ أن تأكـلَ أولادَهـا

وقال:

مـن كـانَ معتـذِراً مـن شـتمِه عمـراً ... فـابنُ النجاشـيِّ منـهُ غيـرُ مُعتَـذرِ
وابـنُ النجاشِـي بَـراءٌ غيـرَ محتشـمٍ ... وابـنُ النجاشِـي بَـراءٌ غيـرَ محتشـمٍ

3.3. غرض الرثاء في شعر الشيعة

بسبب الاضطهاد الذي تعرض له أنصار الشيعة منذ تشيعهم للإمام علي كرّم الله وجهه، ظهر عند شعراء الشيعة شعر يبكي على المآسي التي تعرض لها آل البيت وهو شعر يتفجر حزنا ولوعة وتفجعا على الشهداء من آل البيت، ولعل مقتل الخليفة علي رضي الله عنه ترك حزنا في قلوب شعراء الشيعة فبكوه بحرقة شديدة، يقول أبو الأسود الدؤلي يبكيه:

أَلاَ يَـــا عَـــيْنُ وَيْحَـــكِ أَسْـــعِدِينَا ... أَلاَ تَبْكِـــــي أَمِيـــــرَ المُؤْمِنِينَـــــا
وَتَبْكِـــــي أُمَّ كُلْثُـــــومٍ عَلَيْـــــهِ ... بِعَبْرَتِهَـــــا وَقَـــــدْ رَأَتِ اليَقِينَـــــا
أَلاَ قُـــلْ لِلْخَـــوَارِجِ حَيْـــثُ كَـــانُوا ... فَـــلاَ قَـــرَّتْ عُيُـــونُ الحَاسِـــدِينَا
لَقَـــدْ عَلِمَـــتْ قُـــرَيْشٌ حَيْـــثُ كَانَـــتْ ... بِـــأَنَّـــكَ خَيْـــرُهُمْ حَسَـــباً وَدِينَـــا
إِذَا اسْـــتَقْبَلْتُ وَجْـــهَ أَبِـــي حُسَـــيْنٍ ... رَأَيْـــتُ البَـــدْرَ فَـــوْقَ النَّاظِرِينَـــا
كَـــأَنَّ النَّـــاسَ إِذْ فَقَـــدُوا عَلِيّـــاً ... نَعَـــامٌ حَـــارَ فِـــي بَلَـــدٍ سِـــنِينَا
فَـــلاَ تَشْـــمَتْ مُعَاوِيَـــةُ بْـــنَ صَـــخْرٍ ... فَـــإِنَّ بَقِيَّـــةَ الخُلَفَـــاءِ فِينَـــا

وكان مقتل الحسين كان أكبر فجيعة لآل بيته ولأنصار الشيعة، فقد رثت الرّباب زوجها الإمام الحسين بعد استشهاده في معركة كربلاء، بقصيدة أوردها ياقوت الحموي، صاحب معجم البلدان، تقول فيها:

واحُســـيناً! فـــلا عُـــدِمتُ حســـيناً ... أقصَدَتْـــــه أسنّـــــةُ الأعـــــداءِ
غـــــادروه بكـــــربلاءَ صريعـــــاً ... لا سَـــــقَى اللهُ جـــــانبَي كـــــربلاءِ

وقد تميز الرثاء في الشعر الشيعي بتخليد الشخصيات التاريخية والأحداث التي توالت في تاريخ المذهب الشيعي، فكان الرثاء مذهبيا وتصوريا مفعما بالمشاعر الجياشة بالحزن والألم، الإحساس بالظلم، ومن ذلك قول دعبل الخزاعي في رثاء الحسين في حادثة كربلاء:

أفـــاطِمُ لَـــوْ خِلْـــتِ الْحُسَـــيْنَ مُجَـــدَّلا ... وَقَـــدْ مـــاتَ عَطْشـــاناً بِشَـــطِّ فُـــراتِ
إِذاً لَلَطَمْـــتِ الْخَـــدَّ فـــاطِمُ عِنْـــدَهُ ... وَأَجْرَيْـــتِ دَمْـــعَ الْعَـــيْنِ فِـــي الْوَجَنـــاتِ
قُبُـورٌ بِـبِطْنِ النَّهْـرِ مِـنْ جَنْـبِ كَـرْبَلا ... مُعَرَّسُـــهُمْ فيهـــا بِشَـــطِّ فُـــراتِ
تُوُفُّـــوا عَطاشـــاً بِـــالْعَراءِ فَلَيْتَنـــي ... تُوُفِّيـــتُ فـــيهم قَبْـــلَ حـــينِ وَفـــاتي
إِلَـــى اللهِ أَشْـــكُو لَوْعَـــةً عِنْـــدَ ذِكْـــرِهِمْ ... سَـــقَتْني بِكَـــأْسِ الثَّكْـــلِ وَالْفَضَـــعاتِ
سَـــأَبْكيهِمُ مـــا حَـــجَّ للهِ راكِـــبٌ ... مـــا نـــاحَ قُمْـــريٌّ عَلَـــى الشَّـــجَراتِ
سَـأَبْكيهِمُ مـا ذَرَّ فـي الأَرْضِ شـارِقٌ ... وَنـــادى مُنـــادِي الْخَيْـــرِ لِلصَّـــلواتِ

وقد قيل في رثاء الحسين وموقعة كربلاء الشيء الكثير من الشعر، فنجد كشاجم يرثي قائلا:

إذا تفكـــــرت فـــــي مصـــــابهم أثقـــب زنـــد الهمـــوم قادحـــة
فبعضـــــهم قربـــــت مصـــــارعه فبعضـــــهم قربـــــت مصـــــارعه
أظلـــــم فـــــي كـــــربلاء يـــــومهم ثـــــم تجلـــــى وهـــــم ذبـــــائحه
ذل حمـــــاه وقـــــل ناصـــــره ونـــــال أقـــــوى منـــــاه كاشـــــحه

4.3. عقيدة الرجعة

الرجعة بمعنى عودة مجموعة من الأموات إلى الحياة قبل يوم القيامة .وتعدّ مسألة الرجعة إحدى المعتقدات التي يختص بها مذهب الشيعة الإمامية، والرجعة عند الشيعة هي الإيمان بعودة الإمام علي وأئمة الشيعة الآخرين إلى الدنيا، اعتبروها من ضروريات المذهب الشيعي، وادّعوا الإجماع على صحّتها. ويرى معظم علماء الإمامية أنّ الرجعة تتزامن مع قيام وظهور الإمام المهدي. وقيل إن أول من نشر هذه الدعاية هو ابن سبأ اليهودي، وبعدها أصبحت قضية رجوع الإمام علي إلى الدنيا ليملأها عدلا عقيدة أساسية من عقائد أهل الشيعة، وعبّر الشعراء عنها في أشعارهم، ومنهم كثّير عزة، حيث قال:

أَنـــتَ إِمـــامُ الحَـــقِّ لَســـنا نَمتَـــري أَنـــتَ الَّـــذي نَرضـــى بِـــهِ وَنرتَجـــي
أَنـتَ اِبـنُ خيـرِ النـاسِ مِـن بَعـد النبـي يـا اِبـنَ عَلـيَّ سِـر وَمَـن مِثـلُ عَلـي
حَتـــى تَحـــلَّ أَرضَ كَلَـــبٍ وَبلـــي مـــا مِـــتُ يـــا مَهـــديُّ يـــا اِبـــنَ المُهتَـــدي
أَنـــتَ الَّـــذي نَرضـــى بِـــهِ وَنرتَجـــي أَنـتَ اِبـنُ خيـرِ النـاسِ مِـن بَعـد النبـي

وكان السيد الحميري في أوّل أمره كيسانياً يؤمن برجعة (محمد بن الحنفية) وهو من ولد الإمام علي υ، وكان كثيراً ما يردد ذلك في شعره، فمن ذلك قوله:

إمام الهدى قل لي متى أنتَ آيب فمن علينا يا إمام برجعةِ
مللنا وطال الانتظار فجد لنا بحقّك يا قطبَ الوجودِ بزورةِ
فأنتَ لهذا الأمر قد ما معين كذلك قال اللهُ أنتَ خليفتي

إذن، كان السيد مؤمناً بعودة (محمد بن الحنفية)، وذلك في أول أمره، لذا كان – في بعض الأحيان- يطيل الحديث – في شعره – عن أمره ورجوعه.

5.3. تمجيد الإمام علي رضي الله عنه

يصل تمجيد الشيعة للإمام عليّ -كرم الله وجهه- إلى حدّ التأليه أو الشرك، لما يلبسونه من صفات تتنافى والدين الإسلامي الحنيف. وتنطلق الشيعة من يوم الغدير، الذي أوصى فيه النبي صلة الله عليه وسلم بالولاية لعلي رضي الله عنه، وتبقى الحادثة مختلف حولها بين الشيعة والسنة، لكن الشيعة ترى أن الغدير هو اليوم الذي غدا فيه الإمام علي رضي الله عنه مولى كلّ مؤمن ومؤمنة بأمر من الرسول محمد (صلّى الله عليه وسلم)، لذا تطرقّ الشعراء

العباسيون بكثرة لتلك المناسبة في أشعارهم التي خصّصوها لمديح أهل البيت (عليهم السلام) عموماً، والإمام علي كرّم الله وجهه على وجه الخصوص، وكان السيد الحميري رأس القائمة التي ضمت ذلك الكم من الشعراء الذين استثمروا هذه الحادثة وعبّروا عنها بسرور كبير في قصائدهم.

ومن ذلك قوله السيد الحميري:

وبخمّ إذ قال الإلهُ بعزمةٍ قم يا محمّدُ بالولايةِ فاخطبِ
وانصب أبا حسنٍ يومك انه هادٍ وما بلّغتَ إنْ لم تنصبِ
فدعاه ثم دعاهم فأقامه لهم فبين مصدِّق ومكذِّبِ
جعل الولاية بعده لمُهذّبٍ ما كان يجعلها لغيرِ مهذّبِ

ويقول كثير عزّة:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحقِ أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يتبعها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

4. خصائص شعر الشيعة

-تداخل الدين والسياسة في شعر الشيعة، حيث يغلب الطابع المذهبي في شعرهم ويظهر ذلك جليا في مدحهم وهجائهم ورثائهم، لكن وجد شعراء شيعة قرضوا الشعر وقالوا في أغراض أخرى بعيدة عن المذهب السياسي والديني.

-حرارة العاطفة وتأججها في شعر الشيعة، شعر ملتهب قوي العاطفة، فحبهم الكبير لآل البيت وتمجديهم لهم، ظهر في شعرهم المتاخم بالحزن والبكاء على مصير آل البيت، وحقهم المسلوب، ورثاء شهدائهم، كما نجد عاطفة الكراهية والحقد على بني أمية وبني العباسـ على اعتبارهم خصوم الشيعة.

-تميز شعر الشيعة بالجدل، والاعتماد على الحجج والبراهين وذلك في دفاعهم المستميت على آل البيت، فكان شعرا يغلب عليه الاهتمام بالمضمون على حساب الخصائص الفنية.